

# إشكالية التعايش اللغوي في المجتمع الجزائري

أ. سميرة رفاس

جامعة سيدي بلعباس

إن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، وأداة أساسية يتواصل بها أفراد المجتمع؛ توجب على الناطقين بها ومستعمليها، ضبط قواعدها، وصيانة قوانينها. لكن فعل الممارسة اللغوية، غالبا ما يصطدم بمجموعة من الإيديولوجيات والثقافات في المجتمع الواحد، والذي يتبنى بدوره مجموعة من اللغات المختلفة في أنظمتها الصوتية والصرفية والتركيبية، وهو حال مجتمعنا الجزائري الذي يتجلى فيه التعدد اللغوي بوضوح، داخل البيت وخارجه. إنّ هذه اللغات المتداولة في مجتمعنا الجزائري، وإن بدت متعايشة مع بعضها، منسجمة مع واقع مستعمليها، إلا أنها تحمل في مضامينها مجموعة من الإشكالات ينبغي التنبه لها، ومعالجتها والتخطيط لها، حتى لا تتحول إلى عاهات لسانية تعيق رقي المجتمع، وتحول دون تحقيق الانسجام الفكري والثقافي بين أفراده الذي لا يكون إلا بتعايشهم مع بعضهم البعض.

**في مفهوم التعايش:** التعايش منطوق لغوي مفاده المزج والاختلاط، فهو كالتعامل والتفاعل إلا أن ميزته؛ أن تشكيلته الصوتية تجعله متميزا عما سبق ذكره وذلك بالرجوع إلى عناصر الصيغة الأصلية التي هي (عاش)، وفي معنى هذه التركيبية تداخل أيضا، وقد جاء في معاجم اللغة أن (العيش بالفتح الحياة المختصة بالحيوان وإذا كثرت له لزمت التاء ك"عيشة راضية". والمعيشة الضنك: عذاب القبر)<sup>1</sup> ومن هنا يظهر التداخل في معاني هذه المفردة ومما يتميز به أيضا، أنها تعني العيش وفي العيش حياة، وفي الحياة حركة وتطورات وتغيرات مستمرة، ومن هنا كانت الحياة واللافت للانتباه في تركيبية المصطلح، أنه تائي الصدارة . مبدوء بتاء. ومعلوم أن وظيفة التاء في مثل هذه الحال، تدل على الرغبة والإرادة، ومن المتفق عليه أن عناصر التركيب اللغوي ليست لها إرادة ورغبة في ذاتها، وإنما ذلك عند الناطق بها؛ والناطق مخبوء تحت لسانه، واللسان مخبوء تحت تفكير المتكلم. ويقودنا كل ما سبق

إلى أن التعايش هو للأفكار المعبر عنها باللسان، وإذا كانت الأفكار متعايشة مع بعضها كانت مفرداتها كذلك.

**التعايش تكامل أم تنازع؟** ومع جميع ما سبق، يبقى أمر المصطلح محيرا لانطوائه على تداخل مجموعة من المعاني تحت منطلق واحد هو الامتزاج والتلاحم والاختلاط، ومعنى هذا أن كل من يتعايش مع غيره عليه أن يقبل التلاحم والامتزاج والاختلاط، وفي هذه الحال على كل عنصر مشارك في عملية التعايش أن يتخلى عن بعض خصائصه وميزاته من جهة، ويسعى في الوقت ذاته أن يعوض ويسترد ما تنازل عنه لغيره من جهة أخرى. ومن هنا يكون في مفهوم التعايش امتزاج وتنازل وتنازع، ذلك أن المختلط الممتزج بغيره، ما فعل ذلك إلا ليزداد قوة وتمكنا وتحكما، وإذا اتضح أن التعايش عملية خليط بين مجموعة من العناصر الملتزمة في هيكل واحد وكيان موحد محدود بحدود، فإن ذلك هنا هو اللغة.

**اللغة والتفكير الاجتماعي:** إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية فكرية نطقية، فإنها تعبر عن المجتمع الناطق بها وتسايره، وهنا تقوم نظرتان؛ مفاد الأولى أن اللغة نوعان: أصلية أصيلة، وواقعية مبتكرة، وهذه النظرة تقابلها الفصحى والعامية وهي نظرة تفضيلية تفاضلية إقصائية، الأصل فيها ثابت عليه المعول، وغيره فرع متغير هو دون الأول مكانة. والنظرة الثانية، تجعل اللغة صورة للمجتمع الذي هو خليط من الأجناس والأنواع والكل يعمل في مجاله المختص به، ولكن منتج الجميع يعود للمجتمع العام كل في موضعه وبجهده، يعمل لذاته بالأخذ لما يحتاجه هو، وبالعطاء لما يحتاجه غيره. (وإذا أردنا أن نفهم وظائف اللغة في المجتمع فمن المهم أن نعترف بهذين الدافعين إلى الاتصال؛ لا أن نعترف بالتعامل فحسب بل بالتفيس أيضا. ومن السهل علينا دائما أن نلاحظ الوظيفة التعاملية للغة ولكن ليس من اليسير علينا دائما أن نرى الوظيفة التنفيسية.)<sup>2</sup> "فلغتنا ترجمة لأفكارنا وأحاسيسنا. ولما كانت اللغة ظاهرة فكرية، والمجتمع خليط من الأفكار، كانت التراكيب اللغوية أشتاتا مجتمعات في هياكل وتراكيب، إذ يمكن أن يجتمع في التركيبة اللغوية . الجملة عدة عناصر مختلفة المراجع والمرجعيات، فقد يوجد في الجملة الواحدة عنصر عربي (جلباب)،

وآخر فارسي (سروال)، وثالث تركي (سعاجي) ورابع أمازيغي (أرغاز)... وعليه فإن (الفرد يكتسب من اللغة إذا طرق التفكير الشائعة، في المجتمع الذي نما فيه، واكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير)<sup>3</sup> فيتحول سلوك الإنسان من سلوك فردي إلى سلوك جماعي (فإذا كان السلوك الفردي كلاما داخليا، كما يقول أفلاطون، فمما يساوي ذلك في الصدق أن التفكير الجماعي كلام خارجي. وعندما يشترك الفرد في التفكير الجماعي لابد أن يصطبغ تفكيره الخاص بصبغة هذه التجربة الاجتماعية)<sup>4</sup> وهنا تكمن الوظيفة الأساسية للغة المتمثلة في إعانة الفرد على الاختلاط في المجتمع. ومن هنا يبدأ الإشكال؛ فقد يحصل اختلاط وامتزاج وتكامل بين العناصر وهذا تعايش، وقد يحصل تفكك وتنازع وتنافر وهذا انفصال وانفصام. والملاحظ هنا أن النتيجتين (التنافر والتعايش) صورتان من التصور الفكري للمجتمع. ولهذا التصور خلفياته وأبعاده النفسية التي يطرحها النفسانيون في هذا النص بقولهم: (فكلما زاد المرء من شعوره بنفسه، أي كلما ازداد تعبيره بالكلمات أو الرموز الأخرى عن سلوكه، زاد احتمال أن يصبح أكثر شعورا بالتناقض في سلوكه)<sup>5</sup> "وهذا سلوك فردي (ولكن حين يبدأ المجتمع يسأل نفسه باستعمال "لماذا؟" فيما يخص سلوكه كمجتمع، يزداد احتمال النزاع الداخلي في الحال. فتتظم مبادئ السلوك؛ وحيث لا تتفق هذه المبادئ مع السلوك العملي الذي تقرره دائما حوافز بدائية، تبدو الحاجة إلى دوافع مقبولة لتسد الفجوة بين المبادئ والحوافز)."<sup>6</sup> "إن كان التفكير الاجتماعي متزنا ورصينا وعمليا، احتاج إلى عدة عناصر مختلفة متنوعة، لينوع المنتج، ويزين الشكل ويجد لكل عنصر موضعه في البناء ووظيفته في الحياة.

وخلاصة المسار، أن اللغة صورة من صور الحياة الاجتماعية، ففي المجتمع أفراد يتنافرون ويتنازعون ويتعاونون ويتلومون، يتفقون مرة حول موضوع ما فيحسنون إنتاجه، ويختلفون مرة أخرى في موضوع آخر فيتلفونه، ووراء كل عملية، عمل فكري. إذا كان الفكر المجتمعي قويا خلاقا، سيطر على اللغة وجعلها مجرد وسيلة فاعلة يختار منها ما يتوافق وموضوع العمل، فكان التعايش. وإن كان الفكر ضعيفا مقلدا، مال إلى الانتقاء والإقصاء، وتوقف عن التجديد والتطوير.

وأمام هذا الطرح، تتبادر لدينا عدة إشكالات وتساؤلات تطرح نفسها بإلحاح أهمها: أين يمكن أن نصنف الفكر الاجتماعي الجزائري أمام هذا التعدد اللغوي والتنوع اللساني؟ هل هو فكر منتج أم عاطل؟ مقلد أم مجدد؟ للإجابة عن هذه التساؤلات نرى أن نتحدث أولاً عن التركيبة الاجتماعية الجزائرية.

**التركيبة الاجتماعية الجزائرية:** يتميز المجتمع الجزائري بتنوع تركيبته الاجتماعية، والمكوّنة من الشباب بنسبة عالية، ومن الكهول والشيوخ. مجتمع فيه أميون ومتقنون (والمثقفون أنواع؛ منهم من لا يعرف معرفة حقيقية إلا لغة واحدة: العربية أو الفرنسية . في الوقت الراهن . لقرب عهدنا بالاستعمار الفرنسي ولأن بعض المواد مازالت تدرس في الجامعة بالفرنسية. ومنهم مزدوجو اللغة أو متعدّدوها)<sup>7</sup> وما نلاحظه في تواصلنا مع مستعملي اللغة الأحادية فرنسية كانت أم عربية . وهم من الجيل السابق . امتلاكهم سلامة النطق، وفصاحة اللسان، فلا تسمع منهم لغة هجينة أو تراكيب متنافرة، يمتلكون ناصية اللغة التي ينطقونها ويحترمون قواعدها وقوانينها. وهو كذلك بالنسبة لمزدوجي اللغة؛ إذ يتقنون اللغتين معا كتابة ونطقا. (ومن الكلمات المأثورة: إذا رأيت خطابا لحمته عربية وسداه فرنسي فاعلم أن صاحبه جزائري. والأولى أن يقال جزائري حضري. لأن سكان البادية لاسيما أهل السهوب، لا يمزجون لغة بلغة لأن معظمهم لا يعرف إلا لسانا واحدا)<sup>8</sup> وهذه ميزة المجتمع الجزائري التي ينعوتونه بها أينما حلّ . شعب خطابه عربي فرنسي . إن ما يفقر إليه جيلنا اليوم، هو فن التحدث والتواصل مع الغير على الرغم من توافر كل الإمكانيات المادية والتكنولوجية والإعلامية، ليتعلم . وإن كان بعضهم يرى أن من أسباب تشتت الفكر اللغوي هو هذا الدفق التكنولوجي . غير أننا نلفيه يتحدث بلغة، لا هي عامية ولا هي فصحي و(لو طلبت من هذا الجيل المتخرج من المدرسة الجزائرية بعد تعريب مرحلتها الأولى والثانية، لو طلبت منه أن يخاطبك بلغة عامية مهيّبة، لا هي فصحي بآتم معنى الكلمة، ولا هي عامية مبتذلة مخجلة، للبي رغبتك وكان عند حسن ظنك، إلا في الميادين التي لم يتمرس بها لا في مؤسسات التعليم، ولا في الحياة العادية. وكيف يستغني عما لم يسمعه إلا بالفرنسية أو بلغة أخرى، مما هو ممانج لحياته، ولا يستطيع العيش إلا به؟ كيف يسمى بغير الفرنسية أنواع الأسماك ... وكيف يدعو الأدوات المنزلية وغير المنزلية التي يباشرها كل يوم ولا يعرف لها لفظا عربيا؟)<sup>9</sup>

وبالفعل، هي مشكلة تلازمنا يومياً، فنحن نستطيع أن نسمي بعض الحلويات بالفرنسية وبالعامية ولكننا نجهل لها اسماً بالفصحى والأمثلة في هذا تكثر وتتنوع. فمن المسؤول عن هذا القصور اللغوي الذي يميز مجتمعنا؟ ربما تكون الأسرة هي المسؤول الأول عن ذبوع هذه الثقافة، أو ربما هي المدرسة التي لم تمنح التلميذ المعطيات التي تتلائم مع احتياجاته الاجتماعية. ولا نريد هنا أن نلقي اللوم على أحد أو نحاسب أحداً، لأننا جميعاً مسؤولون عن هذا الواقع الذي وجدنا فيه، ومطالبون بترميمه وتجديده، إذ نحاول في هذا المقام أن نتقصى أسباب تأزم واقعنا اللغوي، والبحث في خلفياته الفكرية والثقافية، لعلنا نجد له بعض الحلول الممكنة.

**أسباب هذا التعدد وخلفيات:** تعدد أم تداخل أم تدخل؟ مصطلحات كثيرة موازية لبعضها البعض منفصلة عن بعضها، لكل واحد منها مفهومه ومجاله. أما التداخل فهو (ظاهرة طبيعية في كل اللغات وهي سمة التأثير والتأثر، أو سلوك لغوي عادي يُمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيراً عن التفاعل الاجتماعي Interaction)<sup>10</sup>. وينتج عن هذا التفاعل التبادل والتأثر بين اللغتين (لغة أ في لغة ب/ لغة ب في لغة أ. وهنا يكون الاتجاه متبادلاً، وهو اتجاه الفرد إلى استعمال لفظة لغة وإدخالها في لغة أخرى، بشرط وجود اللغتين في عقل المتكلم بإنتاج أحدهما نطقاً أو كتابة. ويحدث عند الثنائي اللغة، بحيث يعمل على اختيار اللغة دون لغة تتحكمه مواقف معينة أثناء حديثه (Le choix du code).<sup>11</sup>.

**2- التدخل<sup>12</sup>:** يكون في اتجاه واحد فقط، وعادة هنا يكون في تأثير لغة القوي على الضعيف، لغة المستعمر في لغة المستعمَر، أي اتجاه أحادي: لغة أ في لغة ب فقط. أ في ب وينجم عن هذين المصطلحين تأثير لغة في لغة أخرى، وتكون الغلبة لحساب أحدهما بناءً على مجموعة من العوامل، وهي:

العامل الديني: فاللغة التي تحمل الدين لها الغلبة في توظيف مصطلحاتها.

العامل العلمي: فاللغة العلمية؛ والتي تحمل الإبداع لا شك أن لها تأثيراً في اللغة

التي لا تحمل العلم فهي تنقل وتستقبل دون مناقشة.

عامل القوة: وهنا تتبادر إلى ذهني مقولة ابن خلدون: المغلوب مولع بلغة الغالب؛

حيث إنَّ المستعمر مثلاً يفرض أنماطاً وسلوكات لغوية في ذهن المستعمر الذي هو

في موقف الأضعف، فكما يخضع للمستعمر في التحكّم في بلده، كذلك ينساق له في لغته. وهذا من طبيعة وثقافة المستعمر الفرنسي بالخصوص.

العامل الذاتي: وهذا موجود على مستوى الشعوب المستعمرة في الغالب، فقد يحصل الصراع بين الطبقة المثقفة التي تنتصر أحياناً للغة لصالح لغة، فبحكم النخبة أو بحكم الذهنيات الموروثة فيحصل أن تميل إلى صالح اللغات الأجنبية.

إن التعدد اللغوي في الجزائر يتجلى بوضوح في استعمال الجزائريين لأربع لغات لكل منها نظامه الصرفي والنحوي، ويمارسون ذلك في مختلف ميادين الحياة وفي جميع مناطق الوطن وكلّ جهة تقوم اللغات واللهجات الجهوية والمحلية كأدوات للتواصل مع الساكنة المحلية، وهذه سمة ترسّخت منذ دخول الفاتحين شمال إفريقيا فكانت التعددية اللسانية ممارسة وسلوكاً، تجيء وتسير بصورة عفوية ودون عقبات. يجمع معظم الدارسين على أن السبب الرئيس لهذا التعدد والتنوع هو الاستعمار (... فقبل الاستقلال كان الجزائريون يناضلون للتخلص من الاستعمار واللغة الفرنسية أدواته الرئيسية، فيتكلمون لهجة صافية، فحتى المتعلمون منهم بالفرنسية، إن استعملوها تكلموها، وإن استعملوا اللهجة الجزائرية تكلموها صافية غير مخلوطة. وبعد الاستقلال صارت اللغة الفرنسية لغة الدولة الجزائرية والتمدن، فصار المواطن لكي يثبت تطوره وتقدمه يخلط كلامه بكلمات فرنسية بالرغم من معرفته للعربية التي تعلمها في مدرسة الاستقلال).<sup>13</sup> وعليه، فإن اللغة الفرنسية أثناء تواجد الاستعمار، كانت سلاح الجزائريين لمواجهته ومحاربه، لكن سرعان ما تحول هذا السلاح إلى وسيلة للزينة والتبرج والتمدن بعد الاستقلال خاصة لدى الطبقة البورجوازية الجزائرية التي تعلمت من المستعمر لغته الفرنسية لتتشبه به. وهنا تظهر المفارقة الغريبة في الفكر الجزائري، الذي تحول من فكر مترن وقوي إلى فكر مقلد وضعيف، رأى تقدمه وتحضره في استعانته بلغة خصمه الذي استعبده 130 سنة، متخلياً بذلك عن لغته الأصلية. ولم يكتف الاستعمار بتهميش العربية فقط بل قضى على كل ما له صلة بهذه اللغة، إذ (لم يطرح الصدام بين العربية والأمازيغية، إلا مع دخول فرنسا التي أقصت الأمازيغية والعربية من الاستعمال، والتوظيف بشكل نهائي وبقرار من الحاكم الفرنسي، وهذا منذ سنة 1899، مع إغلاق الكتاتيب القرآنية، وتدمير المساجد،

وتحويل الكثير منها إلى كنائس، بل وصل الأمر إلى منع الحجّ على اعتبار أنّ الحجاج يحتكّون بالعرب الذين يحملون اللغة العربية، أضف إلى ذلك ما تعرّضت له الصحف المعرّبة، من غلق وملاحقة أصحابها، وهذا كلّه يدخل في إطار الضمّ النهائي، وتذويب الكيان الثقافي في الجزائر في كيان فرنسا، وإضعاف الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية ومقوماتها الدينية.<sup>14</sup> هو واقع ظاهره تعايش وتلاحم وتمازج، أما باطنه فصراع وتنازع وانفصال. نقول هذا؛ لأنّ التخلي عن اللغة هو تخلي عن السيادة الوطنية وتغريب للهوية. هوية جزائرية بلغة فرنسية. ولسنا ضد هذه اللغة أبداً، ولكننا ضد تقديمها، وتفضيلها عن اللغة الأم والأصل؛ إنّنا ضد هؤلاء المتعصبين لتلك اللغة حتى خلناهم فرنسيي الأصل والهوية. يستعملونها في عاميتهم وفي رسمياتهم وفي بيوتهم، ويحثون عليها أطفالهم، ونظن أنّ لكل لغة مجالها وموضعها ومقامها فلكل مقام مقال. أما عن العامية في الجزائر، فقد (كانت قبل الاستقلال راقية غير مشوهة قريبة جداً من الفصحى، ولم يتسرب لها التشويه إلا في عهد الاستقلال بحيث صارت لهجة مسخاً، خليطاً من الكلمات العربية والكلمات الفرنسية، سماها اللوبي الفرنكفوني المتحكم في الدولة الجزائرية (العربية الجزائرية) وطالب بترسيمها بدل الفصحى)<sup>15</sup> وتعتبر لهجة مدينة الجزائر من (أفقر لهجات الجزائر وذلك بسبب معاناتها من الوجود التركي طيلة ثلاثة قرون ومن الاستيطان الفرنسي والأوروبي طيلة قرن وثلاث قرن)<sup>16</sup> لكن مدرسة الاستقلال، سرعان ما تداركت الأمر و(قربت بين اللهجات وأثرت لغة التخاطب بكلمات الحياة، وأفضل من يمثل اللغة الصافية هم تلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة فهم يتحدثون اللغة الفصحى بطلاقة، لأنّ التعليم بالجزائر يلزم المعلم بالمدرسة أن يلقي درسه بالفصحى لا بالدارجة)<sup>17</sup> هذا ما تفرضه الدولة داخل الأقسام، لكن واقع التعليم مغاير تماماً فيه فصحى ودارجة وفرنسية، فيه خليط من اللغات، يتواصل بها المعلم مع المتعلم وما ينجر عنه من سلبيات في الأداء وإخفاق في التحصيل. (وهكذا يكون التراث اللهجي رصيذاً مشتركاً للمجتمع الجزائري كلّه، ينبغي المحافظة عليه وترقيته بما يخدم وحدة الشعب الجزائري وإثراء الثقافة الوطنية والبعد عن روااسب الدونية التي تلتصق على هذا التراث).<sup>18</sup>

**لا لغة للجزائريين.** لغة للجزائريين، عبارة صدح بها كثير من الباحثين في العديد من التصريحات الإعلامية، وفي الكثير من اللقاءات العلمية، دون وعي منهم أن هذا إمساس بالهوية الوطنية؛ فكون الجزائريين اعتادوا على استعمال أكثر من لغة في خطاباتهم، فهذا لا يعني أن لا لغة لهم؛ إذا سلمنا بنجاح عملية التواصل بينه وبين غيره من أفراد المجتمع. فهم يفهمون بعضهم البعض ويتواصلون ويتحدثون في جميع القطر، على الرغم من اختلاف لهجاتهم، وتنوع ألسنتهم. أن نصفها . لغة الجزائريين . بالتعدد أو بأنها لغة هجينة فهذا مقبول أما أن ننفي عنه لغته فهذا مرفوض؛ لأن لغته الأصلية متجذرة فيه، على الرغم من تعد لغاته ولهجاته. وفي الشارع الجزائري أدلة كثيرة على ذلك، من ذلك مثلا ازدواجية التفاعل مع أسماء الأحياء، والشوارع الرئيسية، فبينما تميل شريحة من الشباب إلى استخدام الأسماء الرسمية باللغة العربية، تستعمل شريحة أخرى الأسماء الاستعمارية. كما تجد أيضا بعض المحلات التجارية ترفع لافتات دعائية باللغة الفرنسية و أخرى بالعربية... ثم إن هذا التزاوج له إيجابياته أيضا تتمثل إحداها في أن الجزائر ليس بلدا مغلقا على نفسه وخاص بالجزائريين فقط وإنما يقصده الأجانب أيضا، ومن ثمة لا بد من ازدواجية اللغة في اللافتات وفي الشوارع وفي غيرها من المواضع التي يقصدها المواطن. هو تزاوج لغوي يتجلى بوضوح في الشارع الجزائري وعلى الرغم من أن الفرد الجزائري لا يستطيع الاستغناء عن هذا التمازج اللغوي في كلامه، إلا أننا نشير إلى جانب هام أيضا وهو أن العائلات الجزائرية تفضل الفرنسية لاعتبارات علمية، ولكنها تحترم العربية كثيرا وتجلها لأنها لغة القرآن الكريم. وأمام هذا النزاع والتنازع بين العربية وغيرها من اللغات، يرى بعض الباحثين ومن بينهم خولة طالب الإبراهيمي، أنه صراع إيجابي وليس سلبيًا، ونظروا إليه على أنه حالة صحية وليس مرضية، معللة ذلك بأن الفرد الجزائري صار يختار من مختلف اللغات بما يتلاءم مع النخبوية. وهو اختيار يتواءم مع ما يقتضيه الواقع المعاش.

بينما يسميه آخرون "تهجين لغوي" و(تعني ظاهرة التهجين اللغوي حالة من التداخل المعيب، والتمازج المشين، والخلط السيئ بين اللغة العربية ولغات أخرى غير العربية، مما ينتج لغة مشوهة مزيجية بين العربية وغيرها. إنها عملية تلفيق لغوي معيب لكلمات لا صلة لها باللغة العربية دخلت حديثا وأنشأت مسخا لغويا مزدوجا)<sup>19</sup> وإن كنا هنا نتحفظ حول صلة العربية بغيرها من اللغات، أو اللهجات المستعملة في المجتمع الجزائري، لأن اللغة تأخذ من بعضها البعض. ومن أمثلة ذلك، العامية الجزائرية التي هي مزيج من العربية الفصحى والأمازيغية والفرنسية، والتركية، مثل قولهم: (يستقصي) حورت إلى (يسقصي) و(كاييه) بالفرنسية أي (كراس) جمعوها على (كيات) // وكلمة (درغاز) للرجل الشهم بالعامية وأصلها (أرغاز) بالأمازيغية. و(بقشيش) أصلها تركي وتعني في المفهوم الجزائري (الرشوة). وقد نتج عن هذا الصراع حالة من التشويش في اللغة والخلط في المفردات والتهجين في التراكيب. إن الإفراط في استخدام الكلمات الأجنبية (إنجليزية أو فرنسية أو هندية أو غيرها) ينبغي ألا يكون قضية فرد بعينه أو مجموعة أفراد معينين، بل إن ذلك مما يلزم أن يدخل في دائرة الاهتمام لدى جميع أفراد المجتمع على حد سواء؛ لأنه يمثل قضية أمن لغوي قومي)<sup>20</sup> إنَّ هذا الخلط اللغوي أضفى إلى نتائج سلبية على أطفالنا في البيت، وعلى التلاميذ في المدرسة، حيث أصبح التلميذ يعيش واقعا لغويا غير ثابت، يتغير مع انتقاله من مكان إلى آخر، من البيت إلى الشارع إلى المدرسة، (وإن أحد هذه الآثار الرئيسية لتربية الطفل في المدرسة هو صيغ لغته بالصيغة الاجتماعية بالتدرج، في هذين الاتجاهين. وفي الوقت الذي يستعد فيه لمغادرته دائرة البيت الضيقة، ليدخل مرحلة التربية المنظمة تنظيما أكبر في المدرسة، يكون قد اكتسب سيطرة عظيمة على اللغة باعتبارها أداة لخلق الصلة بينه وبين الآخرين. فهو يستطيع أن يعبر عن التفكير، والإحساس، والنزاعات، بقصد تعاملي أو تنفيسي وقد تعلم كيف يستجيب لهذه المقاصد في لغة الآخرين)<sup>21</sup> خاصة بعد أن فشلت الدولة في تطبيق قوانينها اللغوية التي تتوافق مع مستلزماتها الراهنة، فانتجت لنا تلميذا

عاجزا عن ممارسة لغته ممارسة سليمة. وهو ما تأسف له (العربي ولد خليفة) رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، عندما صرح بعجز أجيال كاملة من التلاميذ في استعمال لغتهم بالشكل الصحيح، رغم سياسة التعريب وإصلاح المنظومة التربوية. لينهي حديثه بجملة سديدة عندما قال أيضا إننا بحاجة إلى **مصالحة لسانية** لتحقيق الانسجام الاجتماعي بين الجزائريين. مصالحة تؤلف بين جملة اللغات المستعملة، لتخلق لنا لغة تواصل واحدة ووحيدة تمثل الشخصية الجزائرية وكيانها وهويتها الأصيلة.

**حلول ممكنة ومقترحات:** لقد تقدم بعض الباحثين اللغويين ببعض الحلول الممكنة، لحل هذا النزاع اللغوي في المجتمع الجزائري، وركزوا على الاهتمام باللغة اليومية، ومحاولة الرقي بها. هذا من جانب، ومن جانب آخر، رأوا ضرورة الاهتمام تربوياً وإعلامياً باللغات المحلية.<sup>22</sup> "أما علماء الاجتماع فدعوا إلى اعتماد (الاتصال اللغوي) كمخرج وأداة تخلص المجتمع من هذا المأزق اللغوي، شرط أن يحسنوا استعمال هذه الأداة؛ فإذا كان الاتصال اللغوي تاما في المجتمع، تحقق التكامل الاجتماعي. ف (النزاع ينحل باستعمال الاتصال في المجتمع، وينشأ مع هذا الاستعمال وضع ثابت ويستقر)"<sup>23</sup> "غير أن هذا الاتصال متعلق برغبة المجتمع في هذا الفعل وإلا كانت النتيجة سلبية. وما يلح عليه علماء الاجتماع بقولهم: (إن زيادة الاتصال لا تنتج حتما رغبة في الفهم، وحتى حيث يوجد الفهم لا يؤدي إلى حل النزاع ما لم توجد رغبة في ذلك)"<sup>24</sup> "والاتصال اللغوي (منهج جماعي نما في معظمه دون أن نلفظ إلى نموه، ومبدؤه مبدأ المجتمع الإنساني، وقد نما بنمو المجتمعات. وتعدده اليوم جزء من تعقد الحياة الاجتماعية)"<sup>25</sup> "و (مع أن الاتصال اللغوي منهج جماعي قديم جدا نحن لا نعلم عنه إلا القليل، ونحن اليوم مبتدئون فحسب في دراسة أداء اللغة لوظيفتها في المجتمع)"<sup>26</sup> والاتصال اللغوي أنواع؛ وأبرزه الاتصال الرمزي الذي يرونه حلا لهذه المعضلة اللغوية من خلال الكلمة المنطوقة، والكلمة المكتوبة، والصورة. (إن الكلمة المنطوقة، والكلمة المكتوبة والصورة، وهي الأشكال الثلاثة القوية للاتصال الرمزي، ستصبح صالحة للنقل دون تحديد ولا تشويه في كافة أنحاء

الأرض. وتستطيع هذه الثلاثة مفرقة أو مجتمعة، أن تكون وسائل للرمز الجماعي المباشر في مجتمع واسع، سعة الإنسانية جميعا. ففي السينما، وعلى شاشة التلفزيون، نجد الكلمة المنطوقة والصورة، ونجد في الصحافة الكلمة المكتوبة والصورة"<sup>27</sup> وهذا ما نحتاج إليه فعلا لتوحيد لغة الجزائريين في كافة مناطق هذا الوطن. ويطرح صالح بلعيد فكرة حسن توظيف اللغات، للخلاص من هذا الإشكال فيقول: (ومن هنا أعتقد أنّ المسألة اللغوية عندنا تكون معالجتها الناجحة في إطار تطبيق مفهوم التعددية المندمجة؛ أي الاندماج المؤسّساتي الحامي لممارسة الحقوق اللغوية، والثقافية للمجتمع، لا تطرح فيها الخيار اللغوي الأجنبي، ولا تكون لغة من اللغات محلّ تفاضل، بل التوظيف هو الذي يضع التصنيف بصورة عفوية)."<sup>28</sup> و(بالعربية نمارس وجودنا الثقافي والعلمي وبلغاتنا القومية نمارس وجودنا الفني والفكري والتخصّصي)."<sup>29</sup> والنتفيسي. وهذا نوع من أنواع ثنائية اللغة التي ما يزال قائما نأمل ونتوقع أن يصل التفكير الجماعي إلى حل جماعي.

### الهوامش:

- 1- أبو البقاء الكفوي، الكليات، 276/3. ط1/1982، إعداد عدنان درويش ومحمد المصري منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق.
- 2- م. م لويس، اللغة في المجتمع، تر: تمام حسان، 39، ط2003، نشر وتوزيع وطباعة عالم الكتب.
- 3- المرجع السابق، 45.
- 4- نفسه، 123.
- 5- السابق، 206-207.
- 6- المرجع السابق نفسه، 207.
- 7- مختار النويوات "الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر. المعالم الكبرى" مقال بمجلة الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهديب 134 منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008.
- 8- المرجع السابق، 135.
- 9- مختار النويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر. المعالم الكبرى الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهديب، 136-137.

- 10- صالح بلعيد، "الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم" 09، مقال بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، العدد التاسع عشر، 2007، الجزائر.
- 11- نفسه، 09-10.
- 12- ينظر المرجع السابق، 10.
- 13- عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، مقال بمجلة الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهديب، 112.
- 14- صالح بلعيد، الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم، 07.
- 15- عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، 111.
- 16- نفسه، 124.
- 17- عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، 112.
- 18- صالح بلعيد، الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم، 08.
- 19- عصام عيد أبو غربية، التهجين اللغوي لدى طلاب الجامعات العلمية، 218، مقال بمجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد الثامن، جانفي 2012، مطبعة المعارف عنابة.
- 20- نفسه.
- 21- م. م. لويس، اللغة في المجتمع، 41، ترجمة تمام حسان.
- 22- صالح بلعيد، الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم، 14.
- 23- م. م. لويس، اللغة في المجتمع، 260، ترجمة تمام حسان.
- 24- المرجع السابق، 257.
- 25- م. م. لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، 264.
- 26- نفسه، 264.
- 27- السابق، 261.
- 28- صالح بلعيد، الأمازيغية والعربية تكامل لا تصادم، 17.
- 29- السابق، 23.